

وقوله: **((فينظروا))** الفاء عاطفة على يسيروا، وعلى هذا يكون المعنى: أفلم يسيروا فلم ينظروا، ويحتمل أن تكون منصوبة بعد فاء السببية، أي: انتفى سيرهم فينظروا، كما تقول: لم تزرني فأكرمك، وما أشبه ذلك من الكلام.

وقوله: **((كيف كان عاقبة الذين من قبلهم))** كيف: هذه للاستفهام وهي في محل نصب خبر ثاني مقدما، وعاقبة: اسمها، **((عاقبة الذين من قبلهم))** فما هي العاقبة؟ العاقبة ذكرها الله تعالى في سورة القتال في قوله: **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالَهَا))** [محمد: 10] هذا هو فائدة النظر، أن هؤلاء القوم المكذبين كانوا أشد من هؤلاء قوة، ومع ذلك دمرهم الله عز وجل، كانوا أكثر منهم أي في العدد، وأشد قوة أي في الكيفية، فصاروا متميزين عنهم في العدد والكيفية، **((وآثارا في الأرض))** من مصانع وقصور.

((فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)) ما نافية، وأغنى فعل ماضي، وما كانوا يكسبون: ما، اسم موصول فاعل، وكانوا يكسبون صلة الموصول، ويحتمل أن تكون ما استفهامية، والمعنى: فما الذي أغنى عنهم ما كسبوا، والاستفهامية أبلغ لأنها تتضمن النفي مع التحدي، أي: أي شيء أغنى عنهم كسبوا حين دمرهم الله؟ إن كانت نافية فالمعنى: ما أغنى عنهم كسبهم شيئا، وإن كانت استفهامية فالتقدير: ما الذي أغنى عنهم ما كانوا يكسبون، ونظير ذلك قوله تعالى: **((أفرايت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون))** أي: أي شيء أغنى عنهم، أو أن المعنى نفي الإغناء.

الطالب: من ذهب إلى ديار ثمود للعبرة ولكنه لم يستطع أن يبكي فهل يتباكى؟

الشيخ: لا أعرف في الحديث إن لم تبكوا فتباكوا، قال: **(لا تدخلوها إلا وأنتم باكون)** ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بها قنع رأسه يعني غطاه وخفضه وأسرع

الطالب: إذا نقول ابكي أو ارجع؟

الشيخ: نعم، نقول: إما أن تبكي وإما أن ترجع، فإن لم تبكي ومررت بالبلد فعجل، وقنع رأسك كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم.

الطالب : بهذا نقول بعدم جواز من يصور هذه الصور ويريها الناس ؟
الشيخ : أي نعم, الظاهر أنه للمنع أقرب, وذلك لأنه إنما يريهم إياها
ليبان قوة القوم لا لبيان أن الله أهلهم مع قوتهم, هذا هو الظاهر من
هؤلاء المصورين .

الطالب : هل يشمل هذا كل الآثار القديمة أم فقط الذين عذبوا ؟
الشيخ : نحن قرأنا آية تدل على المراد: ((**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَاللَّكَافِرِينَ أَمْثَالَهَا**)) .

الطالب : قلنا إذا كان للإنسان بقرة يجوز أن يركبها وفي الحديث: (**إننا
لم نخلق لهذا**) ... ؟

الشيخ : هذا الجمع بينهما أن هذه البقرة كلفت ما لا تطيق, أو كان يشق
عليها أن تركب, لأن بعض الحيوانات الذي لم يعتد أن يركب يشق عليه
هذا حتى وإن كان يستطيع أن يحمله.

الطالب : بعض الناس يستخدمون هذه الأنعام في السحر ... وما أشبه
ذلك ؟

الشيخ : استعمال هذه الحيوانات فيما هو محرم قصداً أو ذاتا هذا لا
يجوز, حتى لو ركب هذه الأنعام ليصل إلى بلد يفعل فيه الفواحش أو
يلعب فيه القمار فإن هذا حرام .

الطالب : بعض القوم السابقين دمرهم الله سبحانه وتعالى خارج
ديارهم مثل الفراعنة هل نقول لا ندخل آثارهم قياساً على ديار ثمود ؟
الشيخ : لا, وعلى هذا نقول لنا أن ندخل المكان الذي أغرق فيه فرعون
ولنا أن ندخل مصر أيضاً, لأنه لم يهلك فرعون في مصر.

القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ
مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مِمَّا كَانُوا
يَكْسِبُونَ** * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
مِنَ الْعِلْمِ وَخَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا
قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَّهٖ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ
يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي
عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)) .

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى :
(**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ**

كانوا من قبلهم)) ذكرنا في هذا التركيب أفلم يسيروا وما أشبهها إعرابين ؟ يقدر المحذوف بحسبه, الوجه الثاني ؟ ... وتكون الجملة معطوفة على ما سبق.

الثاني أسهل لأن الأول قد يتعسر تقدير المحذوف, فأما هذه فهي سهلة ليس فيها سوى مجرد زحقة الفاء عن موضعها.

وقوله: **((أفلم يسيروا في الأرض))** أي على الأرض, لأن في للظرفية, ولو جعلنا في للظرفية في هذا السياق لكان معنى الآية : أن يدخلوا في جوف الأرض, وهذا غير مراد قطعاً, فتكون في بمعنى على كقوله تعالى : **((أأمنتم من في السماء))** أي من على السماء, وليس المراد أن الله في جوف السماء, لأن ذلك مستحيل, وقد وسع كرسيه السماوات والأرض, وقوله: **((أفلم يسيروا في الأرض))** يشمل السير بالقدم والسير بالقلب, أما السير بالقدم فمعروف, وأما السير بالقلب فمعناه أن يتفكر الإنسان فيما مضى من تاريخ الأمم, وأصح مرجع نرجع إليه فيما مضى من سير الأمم هو القرآن الكريم.

وقوله: **((فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم))** هذه معطوفة على يسيروا, يعني أن الله وبخهم على أمرين: عدم السير وعدم النظر, فهم لم يسيروا ولم ينظروا **((فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم))** والنظر هنا هل هو نظر البصيرة أو البصر ؟ إن قلنا أن قوله: **((يسيروا))** سير القدم فالنظر نظر البصر, وإن قلنا يسيروا سير القلب فالنظر نظر البصيرة, **((كيف كان عاقبة الذين من قبلهم))** أعربنا كيف على أنها خبر مقدم لكان, وهنا يتعين التقديم, لأن كيف اسم استفهام والاستفهام له الصدارة, فعليه تكون خبراً مقدماً لكان, وعاقبة اسمها **((عاقبة الذين كانوا من قبلهم))** يعني من الأمم. فما هي العاقبة ؟ العاقبة أشار الله إليها في سورة القتال في قوله تعالى : **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا))**

ثم شرح الله حال أولئك السابقين فقال: **((كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض))** أكثر منهم عدداً, وكثرة العدد توجب القوة في الكمية, وأشد منهم قوة هي القوة بالكيفية ثم قال : **((وآثاراً في الأرض))** يعني من العمران والقصور وغيرها, ومع ذلك لم تنفعهم هذه الكثرة ولا هذه القوة؛ يقول: " من مصانع وقصور " هذه تفسير

لقوله: ((وأثارا في الأرض)) .

((فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)) ما أغنى: ما يحتمل أن تكون نافية, أي: فلم يغني عنهم ما كسبوا, ويحتمل أن تكون استفهامية, والمعنى: فما الذي أغنى عنهم؟ والاستفهام هنا أشد وقعا لأنه مشرب بالتحدي, أي شيء أغنى عنهم؟ الجواب: لا شيء؛ ((فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)) أي ما كانوا يكسبون من القوة والآثار في الأرض وغير ذلك, لأن الله تعالى دمرهم ودمر قوتهم.

((فلما جاءتهم رسلهم بالبينات)) هذا الذي أتى بعد ذكر تدميرهم هو في الحقيقة عود إلى شرح ما حصل, فإن الله أرسل إليهم الرسل بالبينات الواضحة, وأنزل الكتب, ولكن لما جاءتهم رسلهم بالبينات قال المؤلف: " المعجزات الظاهرات " والصواب أن يقول: الآيات البينات, هو رحمه الله جعل البينات بمعنى الظاهرات وهذا حق, وجعل البينات صفة لموصوف محذوف تقديره المعجزات, وهذا فيه نظر, بل يقدر الآيات, وذلك لأن المعجزات لم ترد في الكتاب والسنة محل الآيات أبدا, وأيضا المعجزات تكون من الرسل ومن غير الرسل, فالسحرة مثلا تأتي لهم الشياطين بالمعجزات, لكن الآيات يعني العلامات الدالة على صدقهم هذه أبلغ, ولهذا إذا وجدت في الكتب وما أكثر ما تجدون المعجزات أو معجزة الأنبياء أو ما أشبه ذلك فاضربوا عنها صفحا, وقولوا بدلها الآيات كما قال الله عز وجل الآيات, والآيات كما قلت لكم أدق من كلمة المعجزات, لأن المعجزات يدخل فيها ما يعجز البشر مما تصنعه الشياطين مع السحرة وغيرهم.

" ((فرحوا)) أي الكفار ((بما عندهم)) أي الرسل ((من العلم)) فرح استهزاء وضحك منكبين له " ((فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا)) الواو فاعل, فمن الفرح؟ يقول: " أي الكفار " وهذا صحيح فرح الكفار بما عندهم من العلم, وقوله: ((بما عندهم)) الضمير يعود على الرسل على حد تفسير المؤلف, بما عند الرسل من العلم, أي: بما جاءوا به من البينات؛ لكن هل هذا الفرح فرح استبشار أو فرح استهزاء؟ يقول المؤلف أنه فرح استهزاء وضحك وسخرية.

ولكن هذا التفسير إذا تأملته وجدته تحريفا وليس تفسيرا, لما فيه من البعد المعنوي واللفظي, أما البعد اللفظي فلأن فيه تشتيت الضمائر, لأن قوله: ((فرحوا)) الواو للكفار ((بما عندهم)) الهاء للرسل,

هذا تشتيت للضمائر؛ والهاء في قوله: **((بما عندهم))** إذا جعلنا الكلام نسقا واحدا لا شك أنها تعود على الكفار، أي بما عند الكفار من العلم.

وأما المعنى فلأن الفرخ في الأصل استبشار، فإذا صرفناه عن معناه الظاهر إلى أن يكون فرخ استهزاء كان هذا إخراجا للمعنى عما يدل عليه ظاهر اللفظ، والحاصل أن هذا التفسير الذي ذكره المؤلف تفسير ضعيف جدا بل هو تحريف؛ والصواب أن المعنى: فرخ الكفار بما عندهم - أي بما عند الكفار من العلم - وقالوا نحن أعلم بما يصلحنا وما يصلح ديننا وديننا الذي نحن عليه، فأنتم أيها الرسل سحرة مجانين كما قال تعالى: **((كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون))** وإذا كانوا يعتقدون بقلوبهم أو يقولون بالسنتهم ما لا يعتقدون من أن الرسل سحرة مجانين فإنهم لا شك سيجعلون ما عندهم من العلم هو العلم الحقيقي فيفرحون به، وعلى هذا فنقول الفرخ هنا فرخ بطر واستبشار فيما يظنون، أنهم على علم أعلى من علم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **((فرحوا بما عندهم من العلم))** ويعجب الإنسان أحيانا فيما يذهب إليه بعض العلماء من تفسير الآيات أو الأحاديث.

الآن لو قرأت هذه الآية على إنسان عامي: **((فلما جاءتهم رسالهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم))** فعلى أي شيء يتنزل الضمير في قوله: **((بما عندهم))** عند هذا العامي؟ على الكفار، فرحوا بما عندهم، والإنسان يفرح بما عنده لا بما عند غيره.

((فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون)) **((حاق))** يقول: " نزل " لكنها أعنى حاق ليست كنزل من كل وجه، لأن نزل تكون بالخير وبالشر **((نزل به الروح الأمين على قلبك))** هذا خير، لكن حاق لا تأتي إلا بالشر، فلا يقال حاق به القرآن أو حاق عليه القرآن كما يقال نزل عليه، فحاق هنا بمعنى نزل لكن لا تستعمل إلا في نزول الشر، وهو شر بالنسبة لمن نزل به، وقد يكون خيرا بالنسبة لغيره، **((وحق بهم ما كانوا به يستهزئون))** ما: فاعل حاق، كانوا به يستهزئون: يعني فيما سبق، أي أنهم لما جاءهم بأس الله عز وجل ونزل بهم **((حاق بهم ما كانوا به يستهزئون))** فيما سبق حيث كانوا يستهزئون بالرسول وبما جاءوا به وبالشرائع، بل ربما يستهزئون بالله عز وجل، انظر إلى قول الله تعالى:

((قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون)) يتبين لك أن الكفار يستهزئون بالله ويستهزئون بآيات الله ويستهزئون بالرسول. **((وحق بهم ما كانوا به يستهزئون))** أي العذاب " يعني حاق بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به حين توعدتهم الرسل به فجعلوا يستهزؤون إيش العاب الذي تقولون ؟ أين هو ؟ يستفهمون استهزاء. **((فلما رأوا بأسنا))** أي شدة عذابنا, رأوا: بمعنى بأبصارهم, يعني رأوه رؤيا العين, والبأس: أشد العذاب.

((قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين)) قالوا آمنا بالله وحده: أي دون شركاءنا, ودون ما كنا نعبده وهذا غاية الإخلاص, ثم أكدوا هذا بقولهم: **((وكفرنا بما كنا به مشركين))** بما: الباء حرف جر متعلقة بكفرنا, وبه: يحتمل أن تكون للسببية أي بما كنا بسببه مشركين, وأن تكون متعلقة بمشركين تعلق الجار بعامله, المعنى: أنهم لما رأوا عذاب الله آمنوا ولكن هل ينفعهم هذا الإيمان ؟ لا, إن فرعون لما غرق وأدركه الغرق قال : **((آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل))** لكن قيل له: **((آآلئن))** يعني أتؤمن الآن. **((وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين))** فلم ينفعه إيمانه. وقال الله تعالى: **((وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ))** [النساء: 18] هذا لا تنفعه التوبة لأنه رأى وشاهد, شاهد ما كان غيبا يكفر به, والإيمان عن مشاهدة لا يفيد, لأن كل إنسان يؤمن بما يشاهد ولو كان أكفر الناس, وإنما الذي يحمد عليه الإنسان وينجيه من عذاب الله أن يؤمن بالغيب كما قال تعالى: **((الذين يؤمنون بالغيب))**.

((قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين)) قال الله تعالى : **((فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا))** لم يك: أصلها لم يكن, لكن حذفت النون تخفيفا, وقد جاء الحذف والإبقاء في آيتين من كتاب الله فقال تعالى في إبراهيم: **((ولم يكن من المشركين))** وقال: **((ولم يك من المشركين))** وهي جملة واحدة حذفت فيها النون وأبقيت, وهذا الحذف تخفيف وله شروط معروفة في كتب النحو.

((فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا)) إيمان هل تعربونها على أنها اسم يك مؤخرا أو على أنها فاعل ينفع واسمها مستتر ؟ الثاني, والتقدير على هذا : فلم يك إيمانهم ينفعهم, أما على الأول فيكون : فلم

يك ينفعهم إيمانهم فيكون اسمها ضمير الشأن, اسم يكن محذوفا ضمير الشأن.

وقوله : **((لما رأوا بأسنا))** لما: هنا ظرف بمعنى حين, واعلم أن لما تأتي في اللغة العربية على أوجه:

الأول: أن تكون ظرفا بمعنى حين كما في هذه الآية, فإن معنى: **((لما رأوا بأسنا))** أي حين رأوا بأسنا.

وتأتي جازمة مثل قوله تعالى: **((بل لما يذوقوا عذاب))**.

وتأتي شرطية كقوله تعالى: **((فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به))**.

وتأتي بمعنى إلا كما في قوله تعالى: **((إن كل نفس لما عليها حافظ))**.

وكذلك قوله: **((وإن كل لما جميع لدينا محضرون))**.

فهذه أربعة معاني في **(لما)** المعنى الأول ؟ بمعنى حين كما في هذه

الآية: **((فلم يك ينفعهم لما رأوا بأسنا))** أي حين رأوا بأسنا,

الثاني ؟ بمعنى إلا مثل: **((إن كل نفس لما عليها حافظ))**.

شرطية مثل ؟ **((فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده))**

وكذلك: **((فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به))**. جازمة مثاله ؟

((بل لما يذوقوا عذاب)) وهي للنفي أيضا, جازمة ونافية؛ لكن

الفرق بينها وبين لم أن لما تفيد قرب مدخولها **((لما يذوقوا عذاب**

((ولكن سيذوقونه قريبا, بخلاف لم فتأتي للنفي المطلق.

((لما رأوا بأسنا)) قال الله تعالى: **((سنة الله التي قد خلت**

في عباده)) سنة يقول المفسر: " نصبه على المصدر بفعل مقدر من

لفظه " سنة بمعنى طريقة أي: هذه طريقة الله.

وسنة في مثل هذا التركيب يجوز أن تكون مرفوعة أي سنة الله على

أنها خبر مبتدأ محذوف, أي: هذه سنة الله؛ ويجوز أن تكون منصوبة

والمؤلف يقول أنها منصوبة بفعل مقدر من لفظه أي: سن الله بهم

سنته.

((سنة الله)) ويجوز أن تكون مصدرا عاملة محذوف لكنه مقدر من

الجملة التي قبلها, لأن هذه العبارة بمعنى ما قبلها تماما, يعني سنة الله

بمعنى ما قبلها وهي أخذ المكذبين بالعذاب, فتكون منصوبة بمضمون

الجملة لا بفعل مقدر, وما ذكره المؤلف رحمه الله وجه لا شك فيه,

والمهم أن السنة بمعنى الطريقة. فما طريقة الله ؟ طريقة الله تعالى

إهلاك المكذبين وتعذيبهم, وأنهم لو آمنوا بعد نزول العذاب لم ينفعهم

" **((التي قد خلت في عباده))** في الأمم أن لا ينفعهم

الإيمان وقت نزول العذاب " هذه واحدة, والثانية أن يعذب
المكذبين, فالسنة التي استفدناها من هذه الآية شيئان: أولاً إهلاك
المكذبين, والثاني أنه لا ينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب.
قال: **((وخسر هنالك الكافرون))** خسر فسرّها المؤلف بمعنى: "
تبين خسراهم لكل أحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك
" خسر هنالك الكافرون معلوم أن هنالك ظرف مكان هذا هو الأصل,
فهي اسم إشارة إلى المكان, وقد تستعار إشارة للزمان فتقول هنالك
أي في ذلك الوقت, ومنه هذه الآية, الآن إذا قلت: فلان هناك, هذا
ظرف مكان, وهذا هو الأصل, ولو قلت مثلاً: قدم فلان هناك, تشير إلى
الوقت صارت إشارة.